كيف تشتري كتابًا محقَّقًا؟

وكيف تُميِّز بين تحقيقٍ وآخر إذا تعدَّدت تحقيقات النَّص؟

كتبه: رزق الضَّبعيُّ محمَّد[1]

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ

ثمَّ أمَّا بعد:

فإنَّه لمَّا كانت أسعار الكتب عالية ومحبَّتها -لا سيَّما كتب التُّراث منها- في النُّفوس غالية؛ آثرتُ أن أضع بين يديك هذه الخطوات العمليَّة، والضَّوابط العلميَّة الَّتي يجب مراعاتها عند شراء أي كتاب تراثي محقق، مستقرئًا إيَّاها من واقعنا الَّذي نعيشه، وتراثنا الَّذي نأمل في إخراجه إخراجًا صحيحًا في أبهى حُلَّة وأفضل صورة لنا أوَّلًا، وللأجيال القادمة ثانيًا.

وهذا كان ديدن الأوائل ومسلكهم من المحققين الكبار والمصححين، حتَّى ابتلانا الله بطائفة أشباه المحققين يَعِيثُونَ في التُّراث فسادا وفي الأرض إفسادا، ظانِّين بذلك كلّ الظَّن أنَّهم قد أصبحوا من كبار المحققين.

فوالله «لقد كنَّا نسعد كل السَّعادة، ونَهشّ ونَبَشّ حينما نسمع أن كتابًا من الأمهات، والمراجع قد طبع، ونقول: منارةٌ قد أضيئت، وطريق مُهّدت، وأقيم عليها الصُّوى.

أما الآن، فكلما سمعنا أن كتابًا قد خرج، نضع أيدينا على قلوبنا، وكم من باحث اشترى كتابًا من الكتب الأمهات المحققة، وذهب به فرحًا مسرورًا، وأمضى الليل به حفيا، ولكنه في

---

(١) مفهرسٌ ومحققٌ وباحثٌ في شؤون المخطوطات العربيَّة والإسلاميَّة، وخريج معهد المخطوطات العربيَّة.

الصباح أرسل يردُّه إلى مَنْ باعه إياه، ثم أقبل إلى الطبعة القديمة من الكتاب يحنو عليها كالمعتذر لها، عن همه بالاستغناء عنها وهجرها إلى تلك الخلوب!!»[٢]

وطائفة أشباه المحققين هذه هي «طائفة تطلَّعت إلى سوق النَّشر، فرأتها ذات بريق، وضجيج وعجيج، ولها أعلام وبيارق، ووراءها قطوف وثمار، وعجزت أن تدخلها من أي باب، فلم تجد غير باب التحقيق، فولجت منه جهلًا واجتراءً، وذهولًا وغفلةً عن معنى التحقيق، ظانين أنه مجرد نقل من ورقٍ بالٍ عتيق، إلى ورق ابيضَ صقيل، وقد عبرت الدكتورة بنت الشاطىء عن عمل هؤلاء بقولها: (إنهم لم يقصدوا إلى شيء من النشر العلمي، ولا عنَّاهم أن يثقلوا على أنفسهم ببعض أعبائه وتبعاته، ولا أن يضبطوا أقلامهم بشيء من نظمه ومناهجه، وإنما اتخذوا النشر وسيلة ارتزاق فحسب، وجعلوا طبع المخطوطات تجارة، لا مجال فيها لتقدير حرمة النصوص، أو احترام أمانة العلم».[٣]

لذلك أقول إنَّ نشر أي نصٍّ مُحَقَّق يقوم على ثلاثة أركان أساسيَّة، هي:

[١] محقِّق النَّص .

[٢] النَّص المحقَّق .

[٣] ناشر النَّص.

ولكي تتعرَّف عليهم لا بُدَّ أن تمر بمرحلتين أساسيتين، هما:

[١] مرحلة ما قبل الشِّراء.

[٢] مرحلة ما عند الشِّراء.

---

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق «نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني» للدكتور عبد العظيم محمود الدّيب (ص: ٣٤٨)، طبعة دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٧م؛ وأنصحك بقراءتها كاملة فهي جامعة ماتعة.

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص: ٣٤٩).

أوَّلًا: مرحلة ما قبل الشِّراء:

لا بدَّ قبل الشِّراء من التَّعرف على هويَّة كلّا من: **المحقِّق، والنَّاشر**؛ ومدى صدقهما وأمانتهما في تحقيق النُّصوص ونشرها، وسبيلك إلى معرفة ذلك هو:

[١] تنصيص أهل التَّخصص الثِّقات على جودة تحقيقات المحقِّق، أو طبعات النَّاشر، سواء كان هذا التَّنصيص من خلال تقديمهم لبعض التَّحقيقات السَّابقة، أو من خلال حساباتهم الشَّخصيَّة على مواقع التَّواصل الاجتماعي.

[٢] الاستفاضة والشهرة بين طلبة العلم وأهله، على أنَّهما يتصفان بـ: الثِّقة والأمانة، وجودة التَّحقيق والإخراج؛ لا سيَّما أهل التَّخصص.

[٣] مطالعة بعض النُّصوص الَّتي اشتركا في نشرها؛ من خلال الاطلاع على نشرة ورقيَّة أو إلكترونيَّة لتلك النُّصوص.

[٤] الاطلاع على حساباتهما في مواقع التَّواصل الاجتماعي. (وهذا لا يعتمد عليه كثيرًا، فقد يكون الواقع خلاف ذلك)

[٥] سؤال أهل التَّخصص الثِّقات عن الطَّبعة الَّتي تريد شرائها لمعرفة:

١) أهميَّتها.

٢) قيمتها العلميَّة.

٣) المآخذ عليها.

ثانيًا: مرحلة ما عند الشِّراء:

وهذه المرحلة تختصُّ بالنَّصِّ المحقَّق فقط؛ قال ابن جماعة: «إذا اشترى كتابًا تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ويصفح أوراقه واعتبر صحته ومما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه».(٤)

---

(٤) ينظر: «تذكرة السَّامع» (ص: ٦١).

إذن عليك أثناء وجودك في المكتبة بعمل التَّالي:

أوَّلًا: الاطلاع على مقدمة المحقِّق.

للإجابة على التَّساؤلات التَّالية:

[١] كم هي عدد النُّسخ الَّتي وقف عليها في الببليوجرافيَّات والفهارس.

[٢] ما هي النُّسخ الَّتي اختارها، ولماذا اختارها، وعلى أي أساس كان هذا الاختيار؟

[٣] ما هي النُّسخة الَّتي اعتمدها أصلًا، وأسباب اعتمادها أصلًا؟

[٤] ما هو منهجه الَّذي سار عليه في معالجة النَّصِّ، وإثبات فروق النسخ؟

ثانيًا: الاطلاع على النِّص المحقَّق.

من خلال النَّظر في هوامش النَّص، لمعرفة مدى صدق المحقِّق والتزامه بمنهجه الذي اختاره؛ ولا يكون ذلك إلا من خلال التَّالي:

[١] الاطلاع على فروق النُّسخ، وطريقة اختياره للنصِّ الرَّاجح؛ إذ هو ما يهمنا من عمليَّة التَّحقق هو إثبات النَّص صحيحًا كما وضعه مؤلِّفه كمًّا وكيفًا.

[٢] الاطلاع على طريقته في العزو وكيفيتها، ونوع المصادر والمراجع الَّتي رجع إليها، ولا تغرَّنَّك كثرتها؛ «فكم من كتاب خرج بهذا التحقيق (العصري) مثقلًا بالحواشي والتعليقات، ينوء بما يسمونه التخريج والتوثيق، وأما النص -الذي هو عمل المحقق أصلًا- ففيه ما فيه من الخلل والاضطراب، فماذا تُغني هذه التعليقات إذًا!؟ ... و[قد] راج عند الناس هذا المنهج الآخر، حتى إنك لتجد أحدهم يقلِّب الكتاب بين يديه، فإذا وجده مثقلًا مظلمًا بالتَّعليقات، تزدحم حواشيه بأسماء المراجع والمصادر، وأرقام الأجزاء والصفحات، قال في إعجاب، وهو يضغط على ألفاظه: (**هذا كتاب مخدوم**)!!! للأسف راجت العملة الرديئة». (٥)

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على سيد المرسلين سيدنا محمدﷺ

---

(٥) ينظر: مقدمة تحقيق «نهاية المطلب» (ص: ٣٤٩)، بتصرف.